صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٦٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٥
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٠ « القاهرة في يوم الاثنين غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ١٩ يناير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

الأدب الشعبي ... ... للأستاذ محمود تيمور ... ٨١
في فضل محمد (ص) ... « محمد أحمد الغمراوى ٨٦
أبصر طريقك ... ... « محمود محمد شاكر ... ٨٩
صلاح الدين يفاوض الانجليز « أحمد أحمد بدوى ... ٩١
ذكرى الدكتور مشرفة للدكتور عطية مشرفة ... ٩٦
الرسالة وإصلاح الأزهر للأستاذ محمد رجب البيومى ٩٨
الإبريق (قصيدة) ... « للأستاذ إيليا أبو ماضي ١٠٢
هي والفراشة (قصيدة) « محمود محمد عماد ... ١٠٢
(تعقيبات) — بودلير في رأى سارتر — حول الكاتب الفرنسي بلزاك ١٠٣
(مسرح وسينما) — غروب الأندلس — ... ... للأستاذ على متولى صلاح ١٠٧
(آراء وأنباء) — الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها — أحلام العصفور الأخضر ١١٠
(أخبار أدبية وعلمية) — مصر تلعب دورا هاما في ترقية القارة السوداء — صناعة الكتب الحلية — تعميم الثقافة الفرنسية كوسيلة من وسائل الدعاية ١١٢
(من هنا ومن هناك) — سفينة نوح بين العلم والسياسة — البعث الإسلامي في تركيا ١٩٥
(طرائف وقصص) — عروس البحر — للشاعر الهندى رابندرانات طاغور ١١٨

الأدب الشعبي

للأستاذ محمود تيمور

جرى الاصطلاح بإطلاق صفة «الشعبي» على الوضيع والرخيص أو ما دون المستوى الرفيع

نقول: فكرة شعبية، أى أنها مشوبة بمطاوعة الأهواء والنزوات، لا سلامة فيها ولا سداد

ونقول: نكتة شعبية، نريد أنها لا تخلو من تبذل وإسفاف

ونقول: طعام شعبي، نعني أنه ساذج في مظهره، غير متقن ولا مستساغ

ونقول: ثوب شعبي، للدلالة على أنه من نسيج غير فاخر، ولذلك يرخص ثمنه، ولا يعز على المقلين شراؤه

ونقول: مسرح شعبي، فيفهم عنا السامع أنه مسرح لجمهور العامة، لا يتذوقون فيه شيئا من الأدب السرى والفن الرفيع

فكل ما هو منسوب إلى الشعب محمول عليه مجانبة

السمو والأصالة والجودة ، مفروض فيه الابتذال والتفاهة والهوان

فهل صحيح ذلك في ميدان الأدب على وجه خاص ؟

هل «الشعبية» في الأدب أن يتصف بالابتذال والضعة ، وأن تجانبه خصائص الأدب الرفيع في التفكير والتصوير والتعبير ؟

أما الأمر الواقع فبين ظهرانينا نتاج أدبي يشيع الآن في بعض طبقات الشعب بقدر كثير أو قليل ، ومعظم هذا النتاج ضئيل الحظ من رفعة الفن وسموه ، سقيم الأداء ، لا يخلو من تبذل وإسفاف ، ولكن تسميته بالأدب الشعبي ظلم عظيم ، فإن صفة هذا الأدب تلحق بأصحابه لا بالشعب ، ثم بالذين تقف بهم ملكاتهم وقرائحهم ومواهبهم في مستوى محدود ، فتتقاصر عن أفق الفن الرفيع ، فإن دل أدبهم على شيء فإنما يدل على مستوياتهم ومزاجهم لا على مستوى الشعب ومزاجه

حقا إن هذا اللون من النتاج الأدبي يلاقي من أفئدة السواد هوى ، ويصادف من الجمهور مزيد إقبال . ولكن هذه الظاهرة ليست فيها حجة على الشعب ، فالنفوس بطبيعتها يستهويها ما يرضي بعض الغرائز القريبة الاستجابة وما يلائم النزوات التي تتساور الإنسان في أطوار حياته ، فإذا قدم لها شيء من ذلك في مختلف شؤون الحياة أقبلت عليه ، وانساقت معه ، إلا أن يعصمها من ذلك حسن التنشئة والترويض . ولا ريب أن الرياضة الأدبية والعمل على السمو بالأذواق والتوجيه التهذيبي العام ، خليق أن يجعل من الشعب عنصرا صالحا يستعصم على الابتذال في الأدب ، فيعزف عما يقدم إليه مما ينطوي على شذوذ وانحراف أو تهافت وإسفاف

والقول الذي يجب أن يكون مردودا على صاحبه ، هو القول بأن الشعب لا يستطيع استساغة لون من الأدب ، إلا هذا اللون التافه الوضيع ، فالطعام الجيد الهنيء الكريم المنضر : من يأنفه ؟ ومن لا يألفه ؟

لقد آن لنا أن نصحح الوضع في معنى الأدب الشعبي ، فما ذلك الأدب الشعبي في الحق إلا الأدب الفني الرفيع الذي يستلهمه الفنان من روح الشعب ومن مختلف بيئاته ، فيعبر به عن مشاعر هذه الأمواج المتدافعة من الناس في ملتطم الحياة ، وإن هذا الأدب الشعبي ليمثل الجانب الأكبر من الأدب الحي الخالد في كل أمة من الأمم ، وفي كل عصر من عصور البشر

تلك هي روائع الأدب العالمي الباقية على الزمن، ليست أصولها إلا أساطير الشعب وأقاصيصه ، فالإلياذة والإنيادة والمهابهاراتا والشاهنامة وألف ليلة وليلة ، إنما هي كتب شعبية تعبر عن نفسية الشعب في مجموعه ، وتسجل أصداء صوته ، وتصور ما ظهر وما بطن من نزعاته ونزواته . وما خلدت هذه الأعمال إلا بأن بينها وبين الناس وشائج موصولة على الوشائج الإنسانية الخالدة .

وما نجح « شكسبير » و « جوته » و « دانتي » و « موليير » و « تاجور » و « تشيخوف » وأضرابهم من أفذاذ الأدب في الأمم إلا بأنهم يخاطبون الشعب كله ، ويجلون ما يختلج في قلبه ، في أداء صادق واستلهام أمين ، فهم فنانون عظماء بأنهم استطاعوا أن يتملكوا ناصية الجمهور الزاخر ، وأن يندسوا إلى أعماق نفسه ، فيكون بينهم وبينه تجاوب عميق .

وإليك « القرآن » العظيم مثلا رفيعا للعمل الفني ، ففيه تصوير رائع لهذه البشرية في متباين عواطفها ومختلف منازعها ، فيه يجد كل نفس مناها ، وقد هبطت آياته على الشعب بلغة الشعب ، وعمت رسالته الناس كافة ، فكان له وقع السحر ، وظل على الدهر رمزا خالدا للأدب الحي ، لا يفتأ يثير في نفوس الناس على تباين مراتبهم ألوان المشاعر والأحاسيس .

ما تعريف الأدب ؟

إن هو إلا تعبير فني بالكتابة والقول ، مثله كمثل

التصوير والغناء والموسيقى والرقص ، فالتصوير تعبير فني بالرسم والتلوين ، والغناء تعبير فني بالتنغيم والتطريب ، والموسيقى تعبير فني بالجرس والرنين ، والرقص تعبير فني بالحركة والإيقاع .

تلك هي الفنون التي يعد في جملتها الأدب ، فالأدب فن والأديب فنان ، والفن للروح لا للعقل ، وللنفس لا للذهن. ومن ثم كان الأدب لونا من الألوان التي تخاطب العاطفة والشعور والوجدان ، والناس أجمعون قادرون على أن يفهموا هذا الخطاب ، فهم سواء فيما انطوت عليه جنوبهم من وجدان وشعور وعاطفة ، وإنما يمتازون في العقول والأذهان ، ويتفاضلون بالمنطق واستظهار الحقائق ، وليس شيء من ذلك يتعلق به الأدب أو يتخذه له هدفا

القارئ الذي لا تسمو عقليته ، ولا تكتمل ثقافته ، يتحامى عليه أن يأخذ في شيء من العلم الذي يقوم على استقراء واستنتاج ، مما يخاطب العقل ، ويتطلب جودة الذهن ، وسعة النظر ، ولكنه لا يتعذر عليه أن يتأثر بالأدب الفني الرفيع ، مادام فن الأدب تعبيرا عن الحياة في صورة تتصل بالنفس وتساير العاطفة وتخاطب الوجدان .

ليس الأديب بمكتشف حقيقة من الحقائق ، أو مبتدع حكمة من الحكم ، أو مزاول تجربة من التجارب ، فالحقائق والتجارب والحكم متماثلة متعارفة ، لا يزيدها الأديب شيئا ، ولا يضيف إليها جديدا ، وإنما هو يستخلص شذورها من بين الأخلاط والشوائب ، ويلم شملها من فرقة وشتات ، ويحسن انتزاعها والتقاطها من مضطرب الحياة في صور فنية جميلة ، كما يلتقط الجهاز الكهربي ذبذبات صوتية معينة في أفق عريض يعج بأمواج متلاطمة من الأصوات .

لا ضرورة ثمة إلى أن يكون الشعب مثقفا لكي يفقه الأدب الفني ويستبينه ويتأثر به ، فحسب الشعب أن يكون سري العاطفة ، قوي البصيرة ، ذكي القلب ، نقي الذوق ، وأذن يسمعه أن يتقبل الأدب الفني بقبول حسن ، ويحله منه المحل الكريم .

ورب فلاح أمي في بطن الريف يعقب على الأحداث بجملة فإذا هي مثل سائر ، ويخوض في الحديث بكلمة فإذا هي من جوامع الكلم ، ويهزه الطرب أو يروعه الفزع فيرسل الأنشودة فإذا هي فن ، ويدنيها فإذا هي لحن ... ولا شيء من ذلك يبعث على عجب . فما الأغنية أو الأنشودة أو الحكمة أو المثل إلا تعبير عن الحياة من فيض العاطفة ووهج الروح وهذه الروح والعاطفة كلاهما هبة الله للبشر لا يفتقران إلى معاناة العلم ، ومكابدة الدرس ، ولا يتوقفان على إكتساب الأقيسة المنطقية التي تحقق بها ظواهر العيش وطبائع الأشياء ، وتتألف منها صنوف المعارف والعلوم .

الأدب لا يقول لك : إعلم هذا واعرفه ، ولكن يقول لك : تأثر بهذا واستشعره . وعبثا تطلب من الأدب إن ابتغيت عنده أن يزيدك علما ومعرفة ؛ وإنما أنت راغب إليه في أن يشيع في أقطار نفسك الروعة والاهتياج ، ويملك عليك عاطفتك بالاستهواء ، فيهرب بك من حاضرك وينسيك ما أنت فيه ، ويمضي بك محلقا في آفاق من الأخيلة والتصورات ، فأنت عنده طالب سلوة وتعزية ، أو مقتبس فرحة وابتهاج ، أو ملتمس لوعة وبكاء ، وساعة أنت تطلب منه أن تفكر أو أن تحلم ... وفي ألوان الأدب ما ينيلك هذه المطالب جميعا

غاية الأدب إذن أن يروع ، ونعني بالروعة إثارة المشاعر ونفض الإحساسات . ولا يكون هذا إلا إن كان العمل الأدبي فنيا ، أي جميلا ، أي رائعا ... والأدب الفني إنما يجمل وتكتمل فيه الروعة حين يتوافر له عنصر اللذة والإمتاع ، أو التسلية والترفيه ، فبهذا العنصر تحمل القارئ على أن يقرأ ، وتحبب إليه أن يتابع . فالاستجابة بين الكاتب والقارئ شرط التواصل بينهما ، ولن يستجيب القارئ لكاتب إذا فقد عنده ما يمده ويمتعه ويؤنسه ،

والمقصود من الإيناس والإمتاع أن يبعث الكاتب عند القارئ نشطة الفكر وأن يلمس مشاعره ، وأن يثير فيه الإعجاب بالجمال

وإنك لا تبلغ مبلغ الاستجابة من نفس القارئ إذا جلوت له الواقع الذى يحيط به أحداثا كما هى فى مجمع الناس، فالواقعية البحت لا تخرج بالقارئ عن مشهوده المبذول ومسموعه المعلول ، وكذلك لا تبلغ من نفسه ذلك المبلغ المنشود إذا نأيت به عن مألوفه فى دنياه ، وباعدت بينه وبين آفاق أفكاره وأحيلته ، وإنما وأنت مصيب غرضك متى بعثت فى الواقع الميت حياة ، وصبغت الأحداث الجامدة صبغة الخيال ، فبذلك يسمو العمل الأدبى إلى المستوى الفنى ، فإذا هو فتنة تثير وجمال يروع

ربما عن لسائل أن يقول :

أنى للجماهير أن تستجيب للأدب الفنى الرفيع ، وهى محدودة الوعى والإدراك ، متخالفة الأذواق ؟

والجواب غير بعيد ، فالصورة الأدبية الفنية يأنس فيها كل ذوق ما يلائمه ويجد فيها كل امرئ ناحية يتأثر بها ويستجيب لها ، حسبما تعينه ملكاته ومداركه

الفنان البقرى يرفع مصباحه الدرى ، مرسلا منه نورا أبيض وهاجا صافى الإشراق . وإن هذا النور الأبيض لينطوى على مختلف الألوان حينما يتحلل بالمنشور . والنفس البشرية منشور بلورى يتحلل به ذلك النور الوهاج ، فكل امرئ يشهد ما يرتاح إليه ، أو ما تستطيع عينه أن تراه . وفى أدب الفنان العظيم نور كامل تكمل فيه الأطياف جمعاء

وإنما يتفاوت الفنانون درجات بما يعوز أدبهم من ألوان هذه الأطياف ، فمنهم من يعوزه الكثير ، ومنهم من يعوزه القليل ، ولذلك نرى تأثير الفنان مقصورا على طائفة مخصوصة من الناس إذا كان أدبه مقصورا على بعض الأطياف التى تلائم تلك الطائفة وحدها . فأما الفنان الذى تفتحت « عبقر » فإن أدبه تتكامل فيه أطياف النور على اختلاف الألوان ، فيه لكل طائفة أرب ، وعنده لكل ذوق متاع

وليس بكاف أن تبعث النور وهاجا متكاملا لكى تطمئن إلى إمكان الاستنارة به ، فلا بد من رعاية الطريقة التى يتجلى بها النور للعيون . لا بد من رعاية الزجاجة التى تنظم انبعاث الشعاع ، أعنى بها اللغة والأسلوب . وهنا تنجم عندنا مشكلة العامية والفصحى ، فالعامية لغة التخاطب فى الجمهور ، والفصحى لغة التدوين للأدب الفنى ، ولا تتحقق الاستجابة بين كاتب وقارئ إلا إن فهم القارئ ما دون الكاتب ، والواسطة بينهما لغة وأسلوب ؛ وذلك هو الحجاب بين الأدب الفنى والجمهور العام . وعلاج هذه المشكلة فى ناحيتين : الأولى تطويع اللغة حتى تكون صالحة لمخاطبة الشعب كله . والأخرى تعميم التعليم حتى تلتقى الأداتان : أداة الإسماع وأداة الاستماع ، أو كما يقول المهندسون : أداة الإرسال وأداة الالتقاط

***

حين يصدق الأديب الفنان فى استلهامه يخرج عملا فنيا. وهو فى هذا العمل الفنى يجلو صورة الشعب . ولا غرو أن الشعب يستهويه أن يرى نفسه فى المرآة ، كما يلذ لكل امرئ أن يشهد شخصه فى رسم أو صورة . وأنت إذا صنعت تمثالا فنيا جميلا لفلاح فى حقل أو عمدة فى قرية ، وجدت من يروقه التمثال ومن يعجب به بين الفلاحين والعمد . وفى التحف الزراعى المصرى قاعة ملئت بالتماثيل الملونة التى تصف مشاهد الفلاحة ومجالس الريف ، وإن الزوار والمتفرجين من المصريين ليقفون عندها طويلا بما يرونه من أبطالها ولعلهم هم أنفسهم أو تلك الأبطال الماثلون

فالأديب الفنى فى مستطاعه أن يقدم عملا فنيا معبرا عن روح الشعب ، مستجيبا لما يجرى فى وليجة نفسه ، ولزام على الأديب إذا هدف إلى شئ من ذلك أن يكون من الشعب على مقربة . بل لا بد أن يحيا بين جوانحه ،

ويتدسس فى صميمه . ويستجيب لذلك كله فى صدق وإخلاص وإيمان . فهو من الشعب يأخذ ، وإياه يناجى . وما الشعب إلا نموذج من النفس البشرية بما حوت من نوازع وخصائص وأطوار

حقا أن العمل الأدبى الفنى لا بد أن تتجلى فيه فكرة أو رأى أو هدف ، ولكن هذه الفكرة فى العمل الفنى يجب أن تكون وثيقة الصلة بالنفس الإنسانية على وجه عام؛ فهى تفهم بالبصيرة لا بالعقل ، وما دامت الفكرة نابعة من قرارة النفس، منتزعة من صميم الحياة ، ملتقطة من جو البيئة ، فهى فكرة قديمة قدم الغرائز والعواطف والنزعات. وليس للأديب الفنان فيها إلا نفخ إثارتها ، وفضل بعثها فى ثوب جديد، والتذكير بها على نحو طريف . ونحن حين نعجب بفكرة أدبية جميلة فإننا لا نعجب بها إلا لأن الكاتب يزفها إلينا فى إطار فنى ، ويصورها لنا فى معرض جذاب ، وقديما انتبه الشاعر العربى لذلك فى قوله :

إنما تنجح المقالة فى المرء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

إذا مس الأديب من النفوس وترا أرنت النفوس له واستجابت . وإذا أصابت المعانى شغاف القلوب خفقت القلوب لها واهتزت . وهذا « الراديو » ينقل لنا صورة صوتية لمجلس غنائى أنشدت فيه « أم كلثوم » قصيدة « لشوقى » وأهل المجلس من شتى الطبقات ، فهم نموذج شعبى صادق التمثيل للشعب ، وإنهم ليستمعون إلى الغناء فيبدو إعجابهم بقدر ، وما تكاد الشادية تبلغ فى إنشادها قول الشاعر :

ومانيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

حتى تسمع « الراديو » قد أرعد بتصفيق هذا الحشد الزاخر إرعادا يصم الآذان ويشق العنان. وما كان ذلك إلا لأن هذا المعنى بخصوصه قد أصاب من الشعب شغاف قلبه ، ومس وترا حساسا فى نفسه . فهذا الشعب قد عانى فى دهره الأطول استلاب حريته ، واغتصاب حقوقه ، فهو مظلوم مهضوم ، تمنى العدل والإنصاف حتى سئم التمنى، وطالب به حتى مل المطالبة ، وإنه لواجد فى هذا البيت الشوقى الحكيم مناجاة له فى محنته ، وتأييدا له فى عزمته ، وحضا له على أن يبلغ ما يريد بقوة المصاولة والغلاب، لا بمنطق المناقشة والحجاج .

لا يقولن الكاتب إن الجمهور لا يفهم عنى، وإنه أدنى مدارك منى ، فالكاتب إن استوعب فى أدبه إحساس جمهوره ، وعبر عما يعتمل فى بيئته ، فالجمهور فاهم عنه ، مدرك منه . وعلة الجفوة بين الكاتب والجمهور أن يكون الكاتب قد اقتنص شعورا ليس بالشعور القوى فى طوايا النفوس ، أو ليس بالشعور العام الذى ينتظم جماعات الناس، وإذن لا يحس الجمهور ما أحس الكاتب، ومن ثم لا تكون بينهما استجابة ، فلا تنبت بينهما ألفة .

ما أكثر ألوان الموضوعات التى تعرض للكاتب الأديب ، يجرى بها قلمه ويبعث إليها أضواء فنه . وإن من هذه الموضوعات ما هو خاص أو أخص ، تتمثل فيه نزعات كثرة من الناس أو قلة . فهو عند هؤلاء الكثيرين أو القليلين أثير وهم إليه فى الاختيار يجنحون ، ولكن ثمة موضوعات شاملة ، فيها نلتقى أشتات المطامع والميول، ولها من مختلف مشكلات الحياة وطرائق العيش نصيب ، فهى متصلة أوثق الاتصال بتلك التيارات العميقة العامة التى تجرى فى أوصال البشرية كلها ، لا تقتصر على جيل من الناس ولا تختص بعصر من عصور التاريخ فهذه الموضوعات الشاملة إذا زاولها الأديب الفنان امتد أثرها فى كل جانب، وانبسط ظلها على كل ناحية ، واستوى فى استشعارها بدوى وحضرى ، وربما استجاب لها الزنجى فى خط الاستواء . فهى إلى العالمية أقرب ، وإلى الخلود أدنى

كلما عالج الأديب ناحية ينفسح نطاقها فى مجتمع الناس